# تفسير سورة الشورى

هى ثلاث وخمسون آية ، وهى مكية كلها. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت: ﴿ حم .عسق ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله ، وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وروى عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ إلى آخرها . وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ونعيم ابن حماد والخطيب عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان فقال : أخبرنى عن تفسير : ﴿ حم . عسق ﴾ فأعرض عنه ، ثم كرر مقالته فأعرض عنه وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يجبه، فقال له حذيفة : أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها ، نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له : عبد إله أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا ، يجتمع فيهما كل جبار عنيد ، فإذا أذن الله فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت ، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا ، فذلك قوله: ﴿حم . عسق﴾ يعنى : عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين ، يعنى : عدلا منه ، سين : يعنى سيكون ، ق : يعنى واقع بهاتين المدينتين . أقول: هذا الحديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات ، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والحط من شأنهم والإزراء عليهم. وأخرج أبو يعلى وابن عساكر، قال السيوطى : بسند ضعيف . قلت : بل بسند موضوع ومتن مكذوب عن أبى معاوية قال: صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال: أيها الناس، هل سمع منكم أحد رسول الله ﷺ يفسر ﴿ حم .عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال: إن ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله ، قال : فعين ، قال : عاين المذكور عذاب يوم بدر ، قال : فسين ، قال : فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، قال : فقاف ، فسكت ، فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس وقال: قاف: قارعة من السماء تصيب الناس . قال ابن كثير فى الحديث الأول [١] : إنه غريب عجيب منكر ، وفى الحديث الثانى : إنه أغرب من الحديث الأول [٢] . وعندى أنهما موضوعان مكذوبان .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن

(١) ابن كثير ٦/ ١٨٦ وابن جرير ٢٥ / ٧ . (٢) ابن كثير ٦/ ١٨٧ .

فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ .

قوله: ﴿ حم .عسق ﴾ قد تقدم الكلام فى أمثال هذه الفواتح ، وسئل الحسن بن الفضل : لم قطع ﴿ حم عسق ﴾ ولم يقطع : ﴿ كهيعص ﴾ [ مريم : ١ ] فقال : لأنها سور أولها ﴿حم﴾ فجرت مجرى نظائرها فكأن ﴿ حم ﴾ مبتدأ و﴿عسق﴾ خبره ، ولأنهما عدا آيتين ، وأخواتهما مثل : ﴿ كهيعص ﴾ و﴿ المر ﴾ و﴿ المص ﴾ آية واحدة . وقيل : لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى : ﴿ كهيعص ﴾ وأخواتها أنها حروف التهجى لا غير ، واختلفوا فى : ﴿ حم ﴾ فقيل : معناها: حم ، أى قضى ، كما تقدم . وقيل : إن « ح » حلمه و« م » مجده ، و« ع » علمه ، و« س » سناه ، و« ق » قدرته ، أقسم الله بها . وقيل غير ذلك مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة ، وقد ذكرنا قبل هذا ما روى فى ذلك مما لا أصل له ، والحق ما قدمناه لك فى فاتحة سورة البقرة . وقيل : هما اسمان للسورة . وقيل : اسم واحد لها ، فعلى الأول : يكونان خبرين لمبتدأ محذوف ، وعلى الثانى : يكون خبرا لذلك المبتدأ المحذوف . وقرأ ابن مسعود وابن عباس « حم . سق » .

﴿ كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ هذا كلام مستأنف غير متعلق بما قبله، أى مثل ذلك الإيحاء الذى أوحى إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحى إليك يا محمد فى هذه السورة . وقيل إن : ﴿حم . عسق ﴾ أوحيت إلى من قبله من الأنبياء ، فتكون الإشارة بقوله : ﴿كذلك﴾ إليها . قرأ الجمهور: ﴿ يوحى ﴾ بكسر الحاء مبنيا للفاعل وهو الله . وقرأ مجاهد وابن كثير وابن محيصن بفتحها مبنيا للمفعول ، والقائم مقام الفاعل : ضمير مستتر يعود على كذلك ، والتقدير : مثل ذلك الإيحاء يوحى هو إليك، أو القائم مقام الفاعل : إليك ، أو الجملة المذكورة ، أى يوحى إليك هذا اللفظ أو القرآن أو مصدر يوحى ، وارتفاع الاسم الشريف على أنه فاعل لفعل

محذوف كأنه قيل : من يوحى ؟ فقيل : الله العزيز الحكيم . وأما قراءة الجمهور فهى واضحة اللفظ والمعنى ، وقد تقدم مثل هذا فى قوله : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] . وقرأ أبو حيوة والأعمش وأبان : « نوحى » بالنون : فيكون قوله : ﴿**الله العزيز الحكيم** ﴾ فى محل نصب ، والمعنى : نوحى إليك هذا اللفظ ﴿ **له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم** ﴾ ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملك جميع ما فى السموات والأرض ؛ لدلالته على كمال قدرته ونفوذ تصرفه فى جميع مخلوقاته .

﴿ **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **تكاد** ﴾ بالفوقية ، وكذلك : «تتفطرن » قرؤوه بالفوقية مع تشديد الطاء . وقرأ نافع والكسائى وابن وثاب : « يكاد » . «يتفطرن » بالتحتية فيهما . وقرأ أبو عمرو المفضل وأبو بكر وأبو عبيد : « ينفطرن » بالتحتية والنون من الانفطار ،كقوله : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [الانفطار : ١ ] . والتفطر : التشقق . قال الضحاك والسدى : يتفطرن : يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهن . وقيل : المعنى : تكاد كل واحدة منها تتفطر فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا . وقيل : من فوقهن : من فوق الأرضين ، والأول أولى . و« من » فى : ﴿**من فوقهن** ﴾ لابتداء الغاية ، أى يبتدئ التفطر من جهة الفوق : وقال الأخفش الصغير : إن الضمير يعود إلى جماعات الكفار ، أى من فوق جماعات الكفار وهو بعيد جدا ، ووجه تخصيص جهة الفوق : أنها أقرب إلى الآيات العظيمة والمصنوعات الباهرة ، أو على طريق المبالغة ،كأن كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التحت أثرت فى جهة الفوق ، فتأثيرها فى جهة التحت بالأولى .﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم** ﴾ أى ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده . وقيل : إن التسبيح موضوع موضع التعجب ، أى يتعجبون من جراءة المشركين على الله . وقيل : معنى ﴿ **بحمد ربهم** ﴾ : بأمر ربهم ، قاله السدى . ﴿ **ويستغفرون لمن فى الأرض** ﴾ من عباد الله المؤمنين ، كما فى قوله : ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [ غافر : ٧ ] . وقيل : الاستغفار منهم بمعنى : السعى فيما يستدعى المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا فى إيمان الكافر وتوبة الفاسق ، فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وإن كانوا داخلين فيها دخولا أوليا ﴿ **ألا إن الله هو الغفور الرحيم** ﴾ أى كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده ، فإن تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته .

﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء** ﴾ أى أصناما يعبدونها ﴿ **الله حفيظ عليهم** ﴾ أى يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ أى لم يوكلك بهم حتى تؤاخذ بذنوبهم ، ولا وكل إليك هدايتهم ، وإنما عليك البلاغ . قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا** ﴾ أى مثل ذلك الإيحاء أوحينا إليك ، وقرآنا مفعول أوحينا ، والمعنى : أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه ﴿ **لتنذر أم القرى** ﴾ وهى

مكة والمراد : أهلها ﴿ **ومن حولها** ﴾ من الناس ، والمفعول الثانى محذوف ، أى لتنذرهم العذاب ﴿ **وتنذر يوم الجمع** ﴾ أى ولتنذر بيوم الجمع ، وهو يوم القيامة ؛ لأنه مجمع الخلائق . وقيل : المراد : جمع الأرواح بالأجساد . وقيل : جمع الظالم والمظلوم . وقيل : جمع العامل والعمل ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ أى لا شك فيه ، والجملة معترضة مقررة لما قبلها أو صفة ليوم الجمع أو حال منه ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ قرأ الجمهور برفع ﴿ **فريق** ﴾ فى الموضعين ، إما على أنه مبتدأ وخبره الجار والمجرور ، وشاع الابتداء بالنكرة ؛ لأن المقام مقام تفصيل ، أو على أن الخبر مقدر قبله ، أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير ، أو أنه خبر مبتدأ محذوف وهو ضمير عائد إلى المجموعين المدلول عليهم بذكر الجمع ، أى هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير . وقرأ زيد بن على : « فريقا » بالنصب فى الموضعين على الحال من جملة محذوفة ، أى افترقوا حال كونهم كذلك ، وأجاز الفراء والكسائى النصب على تقدير لتنذر فريقا .

﴿ **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة** ﴾ قال الضحاك : أهل دين واحد ، إما على هدى وإما على ضلالة ، ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية ، وهو معنى قوله : ﴿ **ولكن يدخل من يشاء فى رحمته** ﴾ فى الدين الحق : وهو الإسلام ﴿ **والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير** ﴾ أى المشركون ما لهم من ولى يدفع عنهم العذاب ، ولا نصير ينصرهم فى ذلك المقام ، ومثل هذا قوله : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ [ الأنعام : ٣٥ ] ، وقوله : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ [ السجدة : ١٣ ] وهاهنا مخاصمات بين المتمذهبين المحامين على ما درج عليه أسلافهم فدبوا عليه من بعدهم ، وليس بنا إلى ذكر شىء من ذلك فائدة كما هو عادتنا فى تفسيرنا هذا فهو تفسير سلفى يمشى مع الحق ويدور مع مدلولات النظم الشريف ، وإنما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه . وجملة : ﴿ **أم اتخذوا من دونه أولياء** ﴾ مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء كون للظالمين وليا ونصيرا ، وأم هذه هى المنقطعة المقدرة ببل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للإنكار ، أى بل أتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها ؟ ﴿ **فالله هو الولى** ﴾ أى هو الحقيق بأن يتخذوه وليا ، فإنه الخالق الرازق الضار النافع . وقيل : الفاء جواب شرط محذوف ، أى إن أرادوا أن يتخذوا وليا فى الحقيقة فالله هو الولى ﴿ **وهو** ﴾ أى ومن شأنه أنه ﴿ **يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير** ﴾ أى يقدر على كل مقدور ، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة .

﴿ **وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله** ﴾ هذا عام فى كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين ، فإن حكمه ومرجعه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه ، وعند ذلك يظهر المحق من المبطل ، ويتميز فريق الجنة وفريق النار . قال الكلبى : وما اختلفتم فيه من شىء ، أى من أمر الدين فحكمه إلى الله يقضى فيه . وقال مقاتل : إن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت ، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويمكن أن يقال : معنى حكمه إلى الله : أنه مردود إلى كتابه ، فإنه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه ، فتكون الآية عامة فى كل اختلاف يتعلق بأمر الدين أنه يرد إلى كتاب الله ، ومثله قوله : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [ النساء : ٥٩ ] وقد حكم سبحانه بأن الدين هو الإسلام ، وأن القرآن حق ، وأن المؤمنين فى الجنة والكافرين فى النار، ولكن لما كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقا إلا فى الدار الآخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة ﴿ **ذلكم** ﴾ الحاكم بهذا الحكم ﴿ **الله ربى عليه توكلت** ﴾ اعتمدت عليه فى جميع أمورى، لا على غيره وفوضته فى كل شؤونى ﴿ **وإليه أنيب** ﴾ أى أرجع فى كل شىء يعرض لى لا إلى غيره .

﴿ **فاطر السموات والأرض** ﴾ قرأ الجمهور بالرفع على أنه خبر آخر لذلكم ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ وخبره ما بعده ، أو نعت لربى ؛ لأن الإضافة محضة ، ويكون ﴿ **عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ معترضا بين الصفة والموصوف . وقرأ زيد بن على : « فاطر » بالجر على أنه نعت للاسم الشريف فى قوله : ﴿ **إلى الله** ﴾ وما بينهما اعتراض أو بدل من الهاء فى عليه أو إليه ، وأجاز الكسائى النصب على النداء وأجازه غيره على المدح . والفاطر : الخالق المبدع ، وقد تقدم تحقيقه ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجا** ﴾ أى خلق لكم من جنسكم نساء ، أو المراد ، حواء لكونها خلقت من ضلع آدم. وقال مجاهد : نسلا بعد نسل ﴿ **ومن الأنعام أزواجا** ﴾ أى وخلق للأنعام من جنسها إناثا ، أو وخلق لكم من الأنعام أصنافا من الذكور والإناث ، وهى الثمانية التى ذكرها فى الأنعام ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ أى يبثكم ، من الذرء وهو البث ، أويخلقكم وينشئكم ، والضمير فى يذرؤكم للمخاطبين والأنعام إلا أنه غلب فيه العقلاء ، وضمير ﴿ **فيه** ﴾ راجع إلى الجعل المدلول عليه بالفعل . وقيل : راجع إلى ما ذكر من التدبير . وقال الفراء والزجاج وابن كيسان : معنى يذرؤكم فيه : يكثركم به ، أى يكثركم به بجعلكم أزواجا ؛ لأن ذلك سبب النسل . وقال ابن قتيبة : يذرؤكم فيه ، أى فى الزوج . وقيل : فى البطن . وقيل: فى الرحم . ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ المراد بذكر المثل هنا : المبالغة فى النفى بطريق الكناية ، فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ، كقولهم : مثلك لا يبخل ، وغيرك لا يجود . وقيل : إن الكاف زائدة للتوكيد ، أى ليس مثله شىء . وقيل : إن مثل زائدة ، قاله ثعلب وغيره ، كما فى قوله : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [ البقرة : ١٣٧ ] أى بما آمنتم به ، ومنه قول أوس ابن حجر :

وقتلى كمثل جذوع النخيـ ـل يغشاهم مطر منهمر

أى كجذوع ، والأول أولى ، فإن الكناية باب مسلوك للعرب ، ومهيع مألوف لهم ، ومنه قول الشاعر :

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه فى الفضائل

وقال آخر :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويا

وقال آخر :

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم فما كمثلهم فى الناس من أحد

قال ابن قتيبة : العرب تقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مثلى لا يقال له هذا ، أى أنا لا يقال لى . وقال أبو البقاء مرجحا لزيادة الكاف : إنها لو لم تكن زائدة لأفضى ذلك إلى المحال ، إذ يكون المعنى : أن له مثلا وليس لمثله مثل ، وفى ذلك تناقض ؛ لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل ، وهو هو مع أن إثبات المثل لله سبحانه محال ، وهذا تقرير حسن ، ولكنه يندفع ما أورده بما ذكرنا من كون الكلام خارجا مخرج الكناية ، ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين فى الصفات على طريقة بيضاء واضحة ، ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفى للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب ، فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوى ، فإنك تحطم بها كثيرا من البدع وتهشم بها رؤوساً من الضلالة ، وترغم بها آناف طوائف من المتكلفين ، ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه : ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ [ طه : ١١٠ ] فإنك حينئذ قد أخذت بطرفى حبل ما يسمونه علم الكلام وعلم أصول الدين .

ودع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

﴿ **له مقاليد السموات والأرض** ﴾ أى خزائنهما أو مفاتيحهما ، وقد تقدم تحقيقه فى سورة الزمر ، وهى جمع إقليد ، وهو المفتاح جمع على خلاف القياس . قال النحاس : والذى يملك المفاتيح يملك الخزائن . ثم لما ذكر سبحانه أن بيده مقاليد السموات والأرض ذكر بعده البسط والقبض فقال : ﴿ **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أى يوسعه لمن يشاء من خلقه ويضيقه على من يشاء ﴿ **إنه بكل شىء** ﴾ من الأشياء ﴿ **عليم** ﴾ فلا تخفى عليه خافية ، وإحاطة علمه بكل شىء يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصى ، فهو يجازى كلا بما يستحقه من خير وشر .

وقد أخرج أحمد والترمذى وصححه ، والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان ، فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يارسول الله ، قال للذى فى يده اليمنى : « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم » ثم قال للذى فى شماله : « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » ، فقال

أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : « سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل له ». قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ، ثم قال: « فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير » قال الترمذى بعد إخراجه : حديث حسن صحيح غريب(١) . وروى ابن جرير طرفا منه عن ابن عمرو موقوفا عليه . قال ابن جرير : وهذا الموقوف أشبه بالصواب . قلت: بل المرفوع أشبه بالصواب ، فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح، ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء. قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فى يده كتاب ينظر فيه ، قالوا : انظروا إليه كيف وهو أمى لا يقرأ ، قال : فعلمها رسول الله ﷺ ، فقال : « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزاد منهم ولا ينقص منهم » وقال : « فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فرغ ربكم من أعمال العباد » .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾ .

الخطاب فى قوله : ﴿ شرع لكم من الدين ﴾ لأمة محمد ﷺ ، أى بين وأوضح لكم من الدين ﴿ما وصى به نوحا﴾ من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التى لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب ﴿ والذى أوحينا إليك ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك ، والتعبير عنه بالموصول لتفخيم شأنه ، وخص ما شرعه لنبينا ﷺ بالإيحاء مع كون

(١) أحمد ٢/١٦٧ والترمذى فى القدر (٢١٤١) والنسائى فى التفسير (٤٩٣) وابن جرير ٢٥/٧ .

ما بعده وما قبله مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته ﴿ **وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى** ﴾ مما تطابقت عليه الشرائع . ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال : ﴿ **أن أقيموا الدين**﴾ أى توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه ، وأن هى المصدرية ، وهى وما بعدها فى محل رفع على الخبرية لمبتدأ محذوف ، كأنه قيل : ما ذلك الذى شرعه الله ؟ فقيل : هو إقامة الدين ، أو هى فى محل نصب بدلا من الموصول ، أو فى محل جر بدلا من الدين ، أو هى المفسرة ؛ لأنه قد تقدمها ما فيه معنى القول. قال مقاتل : يعنى : أنه شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء دينا واحدا. قال مقاتل : يعنى التوحيد . قال مجاهد : لم يبعث الله نبيا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة ، فذلك دينه الذى شرع لهم . وقال قتادة : يعنى: تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وخص إبراهيم وموسى وعيسى بالذكر مع نبينا ﷺ ؛ لأنهم أرباب الشرائع . ثم لما أمرهم سبحانه بإقامة الدين ، نهاهم عن الاختلاف فيه فقال : ﴿ **ولا تتفرقوا فيه** ﴾ أى لا تختلفوا فى التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه ، فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان ، فلا ينبغى الخلاف فى مثلها ، وليس من هذا فروع المسائل التى تختلف فيها الأدلة وتتعارض فيها الأمارات وتتباين فيها الأفهام ، فإنها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف . ثم ذكر سبحانه أن ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال : ﴿ **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ أى عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض الأوثان . قال قتادة: كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وحده وضاق بها إبليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها على من ناوأها .ثم خص أولياءه فقال :﴿ **الله يجتبى إليه من يشاء** ﴾ أى يختار ، والاجتباء : الاختيار ، والمعنى : يختار لتوحيده والدخول فى دينه من يشاء من عباده ﴿ **ويهدى إليه من ينيب** ﴾ أى يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته ويقبل إلى عبادته .

ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من إقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال : ﴿ **وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم** ﴾ أى ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة ، ففعلوا ذلك التفرق للبغى بينهم بطلب الرياسة وشدة الحمية . قيل : المراد : قريش هم الذين تفرقوا بعد ما جاءهم العلم، وهو محمد ﷺ ﴿**بغيا** ﴾ منهم عليه ، وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله:﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير**﴾ الآية [ فاطر : ٤٢ ] ، وبقوله:﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [ البقرة : ٨٩ ] . وقيل : المراد : أمم الأنبياء المتقدمين، وأنهم فيما ﴿ **بينهم** ﴾ اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم . وقيل: اليهود والنصارى خاصة ،كما فى قوله : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ [ البينة : ٤ ].﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك**﴾ وهى تأخير العقوبة ﴿**إلى أجل مسمى** ﴾ وهو يوم القيامة ،كما فى قوله: ﴿ بل [1] الساعة موعدهم ﴾ [ القمر : ٤٦ ] . وقيل : إلى

(١) فى المخطوطة : « والساعة موعدهم » .

الأجل الذى قضاه الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل والأسر والذل والقهر ﴿ **لقضى بينهم** ﴾ أى لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم معجلة . وقيل : لقضى بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين ﴿**وإن الذين أورثوا الكتاب**﴾ من اليهود والنصارى ﴿**من بعدهم**﴾ من بعد من قبلهم من اليهود والنصارى ﴿ **لفى شك منه** ﴾ أى من القرآن ، أو من محمد ﴿**مريب**﴾ موقع فى الريب ولذلك لم يؤمنوا . وقال مجاهد : معنى ﴿**من بعدهم** ﴾: من قبلهم، يعنى : من قبل مشركى مكة ، وهم اليهود والنصارى . وقيل : المراد : كفار المشركين من العرب الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم ، وصفهم بأنه فى شك من القرآن مريب . قرأ الجمهور : ﴿ **أورثوا** ﴾ وقرأ زيد بن على . « ورثوا » بالتشديد.

﴿ **فلذلك فادع واستقم** ﴾ أى فلأجل ما ذكر من التفرق والشك ، أو فلأجل أنه شرع من الدين ما شرع، فادع واستقم ؛ أى فادع إلى الله وإلى توحيده واستقم على ما دعوت إليه . قال الفراء والزجاج : المعنى : فإلى ذلك فادع كما تقول : دعوت إلى فلان ولفلان ، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : كبر على المشركين ما ندعوهم إليه فلذلك فادع . قال قتادة : استقم على أمر الله. وقال سفيان : استقم على القرآن. وقال الضحاك : استقم على تبليغ الرسالة ﴿ **كما أمرت** ﴾ بذلك من جهة الله ﴿**ولا تتبع أهواءهم** ﴾ الباطلة وتعصباتهم الزائغة ، ولا تنظر إلى خلاف من خالفك فى ذكر الله ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾ أى بجميع الكتب التى أنزلها الله على رسله ، لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ فى أحكام الله إذا ترافعتم إلى ، ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه ، وأبلغ إليكم ما أمرنى الله بتبليغه كما هو، واللام لام كى ، أى أمرت بذلك الذى أمرت به لكى أعدل بينكم . وقيل : هى زائدة ، والمعنى : أمرت أن أعدل ، والأول أولى . قال أبو العالية : أمرت لأسوى بينكم فى الدين فأومن بكل كتاب وبكل رسول . والظاهر أن الآية عامة فى كل شىء ، والمعنى : أمرت لأعدل بينكم فى كل شىء ﴿ **الله ربنا وربكم** ﴾ أى إلهنا وإلهكم ، وخالقنا وخالقكم ﴿ **لنا أعمالنا** ﴾ أى ثوابها وعقابها خاص بنا ﴿ **ولكم أعمالكم** ﴾ أى ثوابها وعقابها خاص بكم ﴿ **لا حجة بيننا وبينكم** ﴾ أى لا خصومة بيننا وبينكم ؛ لأن الحق قد ظهر ووضح ﴿ **الله يجمع بيننا** ﴾ فى المحشر ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أى المرجع يوم القيامة، فيجازى كلا بعمله ، وهذا منسوخ بآية السيف. قيل : الخطاب لليهود . وقيل : للكفار على العموم .

﴿ **والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له** ﴾ أى يخاصمون فى دين الله من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فيه . قال مجاهد : من بعد ما أسلم الناس . قال : وهؤلاء قوم توهموا أن الجاهلية تعود. وقال قتادة: هم اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم : نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم ، وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الأنبياء ، وكان المشركون يقولون : ﴿ أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾ ؟ [ مريم : ٧٢ ] ، فنزلت هذه

الآية. والموصول مبتدأ ، وخبره الجملة بعده وهى: ﴿ **حجتهم داحضة عند ربهم** ﴾ أى لا ثبات لها كالشىء الذى يزول عن موضعه ، يقال : دحضت حجته دحوضا : بطلت ، والإدحاض: الإزلاق ، ومكان دحض ، أى زلق ، ودحضت رجله: زلقت . وقيل : الضمير فى : ﴿ **له** ﴾ راجع إلى الله . وقيل : راجع إلى محمد ﷺ . والأول أولى ﴿ **وعليهم غضب** ﴾ أى غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل ﴿ **ولهم عذاب شديد** ﴾ فى الآخرة ﴿ **الله الذى أنزل الكتاب بالحق** ﴾ المراد بالكتاب : الجنس ، فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل . وقيل : المراد به : القرآن خاصة، وبالحق متعلق بمحذوف، أى ملتبسا بالحق وهو الصدق ، والمراد بالميزان : العدل، كذا قال أكثر المفسرين ، قالوا : وسمى العدل ميزانا ؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق . وقيل : الميزان : ما بين فى الكتب المنزلة مما يجب على كل إنسان أن يعمل به . وقيل : هو الجزاء على الطاعة بالثواب ، وعلى المعصية بالعقاب . وقيل : إنه الميزان نفسه أنزله الله من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس ، كما فى قوله : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد : ٢٥ ] . وقيل : هو محمد ﷺ ﴿ **وما يدريك لعل الساعة قريب** ﴾ أىْ أىُّ شىء يجعلك داريا بها ، عالما بوقتها لعلها شىء قريب أو قريب مجيئها أو ذات قرب . وقال : ﴿ **قريب** ﴾ ولم يقل : قريبة لأن تأنيثها غير حقيقى. قال الزجاج : المعنى لعل البعث أو لعل مجىء الساعة قريب . وقال الكسائى : ﴿ **قريب** ﴾ نعت ينعت به المؤنث والمذكر كما فى قوله : ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف : ٥٦ ] ، ومنه قول الشاعر :

وكنا قريبا والديار بعيدة  فلما وصلنا نصب أعينهم غبنا

قيل : إن النبى ﷺ ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين ، فقالوا : متى تكون الساعة ؟ تكذيبا لها ، فأنزل الله الآية ، ويدل على هذا قوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها** ﴾ استعجال استهزاء منهم بها وتكذيبا بمجيئها ﴿ **والذين آمنوا مشفقون منها** ﴾ أى خائفون وجلون من مجيئها . قال مقاتل : لأنهم لا يدرون على ما يهجمون عليه . وقال الزجاج: لأنهم يعلمون أنهم محاسبون ومجزيون ﴿ **ويعلمون أنها الحق** ﴾ أى أنها آتية لا ريب فيها ، ومثل هذا قوله : ﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [ المؤمنون : ٦ ] ثم بين ضلال المماريين فيها فقال: ﴿ **ألا إن الذين يمارون فى الساعة**﴾ أى يخاصمون فيها مخاصمة شك وريبة، من المماراة : وهى المخاصمة والمجادلة ، أو من المرية وهى الشك والريبة ﴿ **لفى ضلال بعيد** ﴾ عن الحق لأنهم لم يتفكروا فى الموجبات للإيمان بها من الدلائل التى هى مشاهدة لهم منصوبة لأعينهم مفهومة لعقولهم ، ولو تفكروا لعلموا أن الذى خلقهم ابتداء قادر على الإعادة .

وقد أخرج ابن جرير عن السدى ﴿ **أن أقيموا الدين** ﴾ قال: اعملوا به ، . وأخرج عبد بن

حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله : ﴿ **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ قال : ألا تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة ﴿ **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ . قال : استكبر المشركون أن قيل لهم: لا إله إلا الله . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد: ﴿ **الله يجتبى إليه من يشاء** ﴾ قال : يخلص لنفسه من يشاء . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له** ﴾ قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله . وقال : هم قوم من أهل الضلالة وكانوا يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله : ﴿ **والذين يحاجون فى الله** ﴾ الآية، قال : هم اليهود والنصارى . وأخرج عبد بن حميد عن الحسن نحوه . وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ [ النصر : ١ ] قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين : قد دخل الناس فى دين الله أفواجا فاخرجوا من بين أظهرنا فنزلت : ﴿ **والذين يحاجون فى الله** ﴾ الآية .

﴿ **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)** ﴾ .

قوله : ﴿ **الله لطيف بعباده** ﴾ أى كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم . قال مقاتل : لطيف بالبار والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم . قال عكرمة : بار بهم . وقال السدى : رفيق بهم . وقيل :حفى بهم . وقال القرطبى: لطيف بهم فى العرض والمحاسبة . وقيل غير ذلك . والمعنى : أنه يجرى لطفه على عباده فى كل أمورهم ، ومن جملة ذلك الرزق الذى يعيشون به فى الدنيا ، وهو معنى قوله : ﴿ **يرزق من يشاء** ﴾ منهم كيف يشاء ، فيوسع على هذا ويضيق على هذا ﴿ **وهو القوى** ﴾ العظيم القوة الباهرة القادرة ﴿ **العزيز** ﴾ الذى يغلب كل شىء ولا يغلبه شىء ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه** ﴾ الحرث فى اللغة : الكسب ، يقال: هو يحرث لعياله ويحترث ، أى يكتسب . ومنه سمى الرجل حارثا . وأصل معنى الحرث : إلقاء البذر فى الأرض ، فأطلق على ثمرات الأعمال وفوائدها بطريق الاستعارة ، والمعنى : من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له ذلك : الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف . وقيل : معناه : يزيد فى توفيقه وإعانته وتسهيل سبل الخير له ﴿**ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها** ﴾ أى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها ، وما يرزق الله به عباده منها؛ نعطه منها ما قضت به مشيئتنا وقسم له فى قضائنا . قال قتادة: معنى ﴿**نؤته منها**﴾: نقدر له ما قسم له ، كما قال : ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء ﴾ [ الإسراء : ١٨ ] . وقال قتادة أيضا : إن الله يعطى على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا ، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا. قال القشيرى : والظاهر أن الآية فى الكافر، وهو تخصيص بغير مخصص . ثم بين سبحانه أن هذا الذى يريد بعمله الدنيا لا نصيب له فى الآخرة فقال : ﴿ **وما له فى الآخرة من نصيب** ﴾ ؛ لأنه لم يعمل للآخرة فلا نصيب له فيها ، وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة الإسراء .

﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ لما بين سبحانه القانون فى أمر الدنيا والآخرة أردفه ببيان ما هو الذنب العظيم الموجب للنار، والهمزة لاستفهام التقرير والتقريع، وضمير : ﴿ **شرعوا** ﴾ عائد إلى الشركاء ، وضمير : ﴿ **لهم** ﴾ إلى الكفار ، وقيل : العكس ، والأول أولى . ومعنى ﴿ **ما لم يأذن به الله** ﴾ : ما لم يأذن به من الشرك والمعاصى ﴿ **ولولا كلمة الفصل** ﴾ وهى تأخير عذابهم حيث قال : ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ [ القمر : ٤٦ ] ﴿**لقضى بينهم** ﴾ فى الدنيا فعوجلوا بالعقوبة ، والضمير فى ﴿ **بينهم** ﴾ راجع إلى المؤمنين والمشركين ، أو إلى المشركين وشركائهم ﴿ **وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ أى المشركين والمكذبين لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة . قرأ الجمهور : ﴿ **وإن الظالمين** ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف . وقرأ مسلم والأعرج وابن هرمز بفتحها عطفا على ﴿ **كلمة الفصل** ﴾ .

﴿ **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا** ﴾ أى خائفين وجلين مما كسبوا من السيئات . وذلك الخوف والوجل يوم القيامة ﴿ **وهو واقع بهم** ﴾ الضمير راجع إلى ما كسبوا بتقدير مضاف ، قاله الزجاج ، أى وجزاء ما كسبوا واقع منهم نازل عليهم لا محالة، أشفقوا أو لم يشفقوا ، والجملة فى محل نصب على الحال . ولما ذكر حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال : ﴿ **والذين آمنوا**

**وعملوا الصالحات فى روضات الجنات** ﴾ روضات جمع روضة . قال أبو حيان : اللغة الكثيرة تسكين الواو ، ولغة هذيل فتحها ، والروضة : الموضع النزه الكثير الخضرة ، وقد مضى بيان هذا فى سورة الروم ، وروضة الجنة : أطيب مساكنها كما أنها فى الدنيا لأحسن أمكنتها ﴿ **لهم ما يشاؤون عند ربهم** ﴾ من صنوف النعم وأنواع المستلذات، والعامل فى عند ربهم « يشاؤون »، أو العامل فى « روضات الجنات » وهو الاستقرار ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما ذكر للمؤمنين قبله ، وخبره الجملة المذكورة بعده وهى : ﴿**هو الفضل الكبير** ﴾ أى الذى لا يوصف ولا تهتدى العقول إلى معرفة حقيقته .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك الذى يبشر الله عباده** ﴾ إلى الفضل الكبير، أى يبشرهم به . ثم وصف العباد بقوله: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة . قرأ الجمهور : ﴿ **يبشر** ﴾ مشددا من بشر . وقرأ مجاهد وحميد بن قيس بضم التحتية وسكون الموحدة وكسر الشين من أبشر . وقرأ بفتح التحتية وضم الشين بعض السبعة ، وقد تقدم بيان القراءات فى هذه اللفظة . ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه ﷺ من هذه الأحكام الشريفة التى اشتمل عليها كتابه أمره بأنه يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثوابا منهم فقال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا** ﴾ أى قل يا محمد : لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ولا نفعا ﴿ **إلا المودة فى القربى** ﴾ هذا الاستثناء يجوز أن يكون متصلا ، أى إلا أن تودونى لقرابتى بينكم ، أو تودوا أهل قرابتى ، ويجوز أن يكون منقطعا . قال الزجاج : ﴿ **إلا المودة** ﴾ استثناء ليس من الأول ، أى إلا أن تودونى لقرابتى فتحفظونى، والخطاب لقريش ، وهذا قول عكرمة ومجاهد وأبى مالك والشعبى، فيكون المعنى على الانقطاع : لا أسألكم أجرا قط ، ولكن أسألكم المودة فى القربى التى بينى وبينكم ، ارقبونى فيها ولا تعجلوا إلى ودعونى والناس ، وبه قال قتادة ومقاتل والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم ، وهو الثابت عن ابن عباس كما سيأتى . وقال سعيد بن جبير وغيره : هم آل محمد، وسيأتى ما استدل به القائلون بهذا . وقال الحسن وغيره : معنى الآية : إلا التودد إلى الله عز وجل والتقرب بطاعته. وقال الحسن بن الفضل : ورواه ابن جرير عن الضحاك إن هذه الآية منسوخة ، وإنما نزلت بمكة ، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فأمرهم الله بمودته ، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه ، فأنزل الله عليه : ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾ [ الشعراء : ١٠٩ ] ، وأنزل عليه : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾ [ سبأ : ٤٧ ] . وسيأتى فى آخر البحث ما يتضح به الثواب ويظهر به معنى الآية إن شاء الله . ﴿ **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** ﴾ أصل القرف : الكسب ، يقال : فلان يقرف لعياله ، أى يكتسب ؛ والاقتراف : الاكتساب ، مأخوذ من قولهم : رجل قرفة : إذا كان محتالا . والمعنى : من يكتسب حسنة نزد له هذه الحسنة حسنا بمضاعفة ثوابها . قال مقاتل : المعنى: من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسنا،

نضاعفها بالواحدة عشرا فصاعدا . وقيل : المراد بهذه الحسنة : هى المودة فى القربى ، والحمل على العموم أولى ، ويدخل تحته المودة فى القربى دخولا أوليا ﴿ **إن الله غفور شكور** ﴾ أى كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين . قال قتادة : غفور للذنوب شكور للحسنات . وقال السدى : غفور لذنوب آل محمد .

﴿ **أم يقولون افترى على الله كذبا** ﴾ أم هى المنقطعة ، أى بل أيقولون : افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة . والإنكار للتوبيخ . ومعنى افتراء الكذب : اختلاقه . ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال : ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾ أى لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه بحيث لا يخطر بباله شيئا مما كذب فيه كما تزعمون . قال قتادة: يختم على قلبك فينسيك القرآن ، فأخبرهم أنه لو افترى عليه لفعل به ما أخبرهم به فى هذه الآية . وقال مجاهد ومقاتل : إن يشأ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم . وقيل : الخطاب له، والمراد : الكفار ، أى إن يشأ يختم على قلوب الكفار ويعاجلهم بالعقوبة ، ذكره القشيرى . وقيل : المعنى : لو حدثتك نفسك أن تفترى على الله كذبا لطبع على قلبك، فإنه لا يجترئ على الكذب إلا من كان مطبوعا على قلبه ، والأول أولى. وقوله: ﴿ **ويمحو الله الباطل**﴾ استئناف مقرر لما قبله من نفى الافتراء . قال ابن الأنبارى: ﴿ **يختم على قلبك** ﴾ تام ، يعنى : وما بعده مستأنف . وقال الكسائى : فيه تقديم وتأخير ، أى والله يمحو الباطل . وقال الزجاج : ﴿ **أم يقولون افترى على الله كذبا** ﴾ تام . وقوله : ﴿**ويمحو الله الباطل** ﴾ احتجاج على من أنكر ما أتى به النبى ﷺ ، أى لو كان ما أتى به النبى ﷺ باطلا لمحاه كما جرت به عادته فى المفترين ﴿ **ويحق الحق** ﴾ أى الإسلام فيبينه ﴿**بكلماته**﴾ أى بما أنزل من القرآن ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ عالم بما فى قلوب العباد ، وقد سقطت الواو من و« يمحو » فى بعض المصاحف كما حكاه الكسائى .

﴿ **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده** ﴾ أى يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصى واقترفوا من السيئات ، والتوبة : الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة لها . وقيل : يقبل التوبة عن أوليائه وأهل طاعته . والأول أولى ، فإن التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم إذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة ﴿**ويعفو عن السيئات**﴾ على العموم لمن تاب عن سيئته ﴿ **ويعلم** ما **تفعلون** ﴾ من خير وشر فيجازى كلا بما يستحقه . قرأ حمزة والكسائى وحفص وخلف : ﴿ **تفعلون** ﴾ بالفوقية على الخطاب. وقرأ الباقون بالتحتية على الخبر ، واختار القراءة الثانية أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأن هذا الفعل وقع بين خبرين ﴿**ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ الموصول فى موضع نصب ، أى يستجيب الله الذين آمنوا ويعطيهم ما طلبوه منه ، يقال : أجاب واستجاب بمعنى . وقيل : المعنى:يقبل عبادة المخلصين . وقيل : التقدير ويستجيب لهم ، فحذف اللام كما حذف فى قوله : ﴿ وإذا كالوهم ﴾ [ المطففين : ٣] أى كالوا لهم ، وقيل : إن الموصول فى محل رفع ، أى

يجيبون ربهم إذا دعاهم ،كقوله : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ [ الأنفال : ٢٤ ] . قال المبرد : معنى ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا** ﴾ : ويستدعى الذين آمنوا الإجابة، هكذا حقيقة معنى استفعل ، فالذين فى موضع رفع ، والأول أولى . ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ أى يزيدهم على ما طلبوه منه، أو على ما يستحقونه من الثواب تفضلا منه . وقيل : يشفعهم فى إخوانهم ﴿ **والكافرون لهم عذاب شديد** ﴾ هذا للكافرين مقابلا ما ذكره للمؤمنين فيما قبله .

﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض** ﴾ أى لو وسع الله لهم رزقهم لبغوا فى الأرض ، لعصوا فيها وبطروا النعمة وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه . وقيل : المعنى : لو جعلهم سواء فى الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع ، والأول أولى . والظاهر عموم أنواع الرزق . وقيل : هو المطر خاصة ﴿ **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** ﴾ أى ينزل من الرزق لعباده بتقدير على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة .﴿ **إنه بعباده خبير** ﴾ بأحوالهم ﴿**بصير**﴾ بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه ، فيقدر لكل أحد منهم ما يصلحه ويكفه عن الفساد بالبغى فى الأرض : ﴿ **وهو الذى ينزل الغيث** ﴾ أى المطر الذى هو أنفع أنواع الرزق وأعمها فائدة وأكثرها مصلحة ﴿ **من بعد ما قنطوا** ﴾ أى من بعد ما أيسوا عن ذلك فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم ، ويشكرون له ما يجب الشكر عليه ﴿ **وهو الولى**﴾ للصالحين من عباده بالإحسان إليهم وجلب المنافع لهم، ودفع الشرور عنهم ﴿ **الحميد** ﴾ المستحق للحمد منهم على إنعامه خصوصا وعموما .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة** ﴾ قال : عيش الآخرة ﴿ **نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها** ﴾ الآية ، قال : من يؤثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا فى الآخرة إلا النار ، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئا الا رزقا فرغ منه وقسم له . وأخرج أحمد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وابن حبان عن أبى بن كعب ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب » (١) . وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة : قال : تلا رسول الله ﷺ ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة** ﴾ الآية ، ثم قال : « يقول الله : ابن آدم ، تفرغ لعبادتى ؛ أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لا تفعل ؛ ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك» (٢) . وأخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن على قال : الحرث حرثان : فحرث الدنيا ؛ المال والبنون ، وحرث الآخرة ؛ الباقيات الصالحات .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخارى ومسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه من طريق طاوس عن ابن عباس ؛ أنه سئل عن قوله : ﴿ **إلا المودة فى القربى** ﴾ قال

(١) أحمد ٥/ ١٣٤ وصححه الحاكم ٤/ ٣١٨ ووافقه الذهبى .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٤٤٣ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (١٠٣٣٩).

سعيد بن جبير : قربى آل محمد . قال ابن عباس : عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة [١] . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عنه قال : قال لهم رسول الله ﷺ : « لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتى وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم » [٢] . وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن الشعبى قال : أكثر الناس علينا فى هذه الآية : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال : إن رسول الله ﷺ كان واسط النسب فى قريش ليس بطن من بطونهم إلا وله فيه قرابة ، فقال الله : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا** ﴾ على ما أدعوكم إليه ﴿ **إلا المودة فى القربى** ﴾ أن تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى بها [٣] . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى الآية قال : كان لرسول الله ﷺ قرابة من جميع قريش ، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال : « يا قوم إذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم ، ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم » [٤] . وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عنه نحوه . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أيضا نحوه . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا نحوه . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا من طريق أخرى نحوه .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق مقسم عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا ، فقال العباس : لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأتاهم فى مجالسهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « أفلا تجيبون ؟ » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال: « ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك ؟ ألم يكذبوك فصدقناك ؟ ألم يخذلوك فنصرناك ؟ » فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا : أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله ، فنزلت : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ [٥] وفى إسناده يزيد بن أبى زياد ، وهو ضعيف ، والأولى : أن الآية مكية لا مدنية ، وقد أشرنا فى أول السورة إلى قول من قال : إن هذه الآية وما بعدها مدنية ، وهذا متمسكهم . وأخرج أبو نعيم والديلمى من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ أى تحفظونى فى أهل بيتى

---

(١) أحمد ١/ ٢٨٦ والبخارى فى التفسير (٤٨١٨) والترمذى فى التفسير (٣٢٥١) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » وابن جرير ٢٥/ ١٥ .

(٢) الطبرانى (١٢٢٣٣ ـ ١٢٢٣٨ ) .

(٣) صححه الحاكم ٢/ ٤٤٤ على شرط البخارى ، وحديث داود بن أبى هند صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .

(٤) ابن جرير ٢٥/ ١٥ والطبرانى (١٣٠٢٦) .

(٥) ابن جرير ٢٥/ ١٦ .

وتودونهم بى ». وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ، قال السيوطى : بسند ضعيف ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ قالوا : يارسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : « على وفاطمة وولداهما » (١) . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية بمكة ، وكان المشركون يودون رسول الله ﷺ ، فأنزل الله: ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **لا أسألكم عليه** ﴾ يعنى : على ما أدعوكم إليه ﴿ **أجرا** ﴾ عرضا من الدنيا ﴿ **إلا المودة فى القربى** ﴾ إلا الحفظ لى فى قرابتى فيكم ، فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يلحقه بإخوته من الأنبياء فقال : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ﴾ [ سبأ : ٤٧ ] يعنى : ثوابه وكرامته فى الآخرة ؛ كما قال نوح : ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾ [ الشعراء : ١٠٩ ] ، وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا أجرا كما استثنى النبى ﷺ فرده عليهم ، وهى منسوخة .

وأخرج أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ فى الآية : قل لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودوا الله وأن تتقربوا إليه بطاعته (٢) . هذا حاصل ما روى عن حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية . والمعنى الأول هو الذى صح عنه ، ورواه عنه الجمع الجم من تلامذته فمن بعدهم ، ولا ينافيه ما روى عنه من النسخ ، فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن فى مكة بأن يوده كفار قريش لما بينه وبينهم من القربى ويحفظوه بها ، ثم ينسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من أصله ،كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على أنه لم يسأل على التبليغ أجرا على الإطلاق ، ولا يقوى ما روى من حملها على آل محمد ﷺ على معارضة ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة ، وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة ، وقد بينا بعض ذلك عند تفسيرنا لقوله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ ] وكما لا يقوى هذا على المعارضة ، فكذلك لا يقوى ما روى عنه أن المراد بالمودة فى القربى : أن يودوا الله وأن يتقربوا إليه بطاعته ، ولكنه يشد من عضد هذا أنه تفسير مرفوع إلى رسول الله ﷺ وإسناده عند أحمد فى المسند هكذا : حدثنا حسن بن موسى حدثنا قزعة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ؛ أن النبى ﷺ . . . فذكره . ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة به . وأخرج ابن المبارك وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى

(١) الطبرانى (١٢٢٥٩) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠٦/٧ : « رواه الطبرانى من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع ، وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) أحمد ٢٦٨/١ والطبرانى (١١١٤٤) قال الهيثمى فى المجمع ١٠٦/٧: « فيهم قزعة بن سويد ، وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » وصححه الحاكم ٤٤٣/٢ ، ٤٤٤ ووافقه الذهبى .

وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الشعب ، قال السيوطى : بسند صحيح ، عن أبى هانئ الخولانى قال : سمعت عمر بن حريث وغيره يقولون : إنما نزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ وذلك أنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنوا الدنيا [١] . وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عن على مثله [٢] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣) ﴾ .

ذكر سبحانه بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده وصدق ما وعد به من البعث ، فقال : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ﴾ أى خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة الغريبة ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ يجوز عطفه على خلق ، ويجوز عطفه على السموات ، والدابة : اسم لكل ما دب . قال الفراء : أراد ما بث فى الأرض دون السماء ، كقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [ الرحمن : ٣٢ ] وإنما يخرج من الملح دون العذب . وقال أبو على الفارسى : تقديره : وما بث فى أحدهما ، فحذف المضاف . قال مجاهد : يدخل فى هذا الملائكة والناس ، وقد قال تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [ النحل : ٨ ] . ﴿ وهو

---

(١) الدر المنثور : ٦/ ٨ .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٤٤٥ ووافقه الذهبى .

**على جمعهم** ﴾ أى حشرهم يوم القيامة ﴿ **إذا يشاء قدير** ﴾ الظرف متعلق بجمعهم لا بقدير ، قاله أبو البقاء ؛ لأن ذلك يؤدى إلى: وهو على جمعهم قدير إذا يشاء ، فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو محال . قال شهاب الدين : ولا أدرى ما وجه كونه محالا على مذهب أهل السنة ، فإن كان يقول بقول المعتزلة وهو : أن القدرة تتعلق بما لم يشأ الله ؛ مشى كلامه ، ولكنه مذهب ردىء لا يجوز اعتقاده ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ أى ما أصابكم من المصائب كائنة ما كانت فبسبب ما كسبت أيديكم من المعاصى. قرأ نافع وابن عامر: « بما كسبت» بغير فاء . وقرأ الباقون بالفاء ، و« ما » فى : ﴿ **وما أصابكم** ﴾ هى الشرطية ، ولهذا دخلت الفاء فى جوابها على قراءة الجمهور، ولا يجوز حذفها عند سيبويه والجمهور ، وجوز الأخفش الحذف ، كما فى قوله : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [ الأنعام : ١٢١ ] وقول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها ... والشر بالشر عند الله مثلان

وقيل : هى الموصولة فيكون الحذف والإثبات جائزين ، والأول أولى . قال الزجاج : إثبات الفاء أجود؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، ومن حذف الفاء فعلى أن ما فى معنى الذى، والمعنى : الذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم . قال الحسن : المصيبة هنا : الحدود على المعاصى ، والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة فى سياق النفى ودخول من الاستغراقية عليها ﴿ **ويعفو عن كثير** ﴾ من المعاصى التى يفعلها العباد فلا يعاقب عليها ، فمعنى الآية : أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب . وقد ثبتت الأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان فى الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه . وقيل : هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى : أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير أن يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ، ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم فى الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة . والأولى حمل الآية على العموم ، والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاب به . قال الواحدى : وهذه أرجى آية فى كتاب الله ؛ لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين . وأما الكافر فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة ﴿ **وما أنتم بمعجزين فى الأرض** ﴾ أى بفائتين عليه هربا فى الأرض ولا فى السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم ﴿**وما لكم من دون الله من ولى** ﴾ يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله ﴿ **ولا نصير** ﴾ ينصركم من عذاب الله فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق ما وعد به فقال : ﴿**ومن آياته الجوار**﴾ قرأ نافع وأبو عمرو : « الجوارى » بإثبات الياء فى الوصل ، وأما فى الوقف فإثباتها على الأصل وحذفها للتخفيف ، وهى السفن واحدتها :جارية ، أى سائرة ﴿ **فى البحر**

**كالأعلام** ﴾ أى الجبال جمع علم وهو الجبل ، ومنه قول الخنساء :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال الخليل : كل شىء مرتفع عند العرب فهو علم . وقال مجاهد : **الأعلام** : القصور ، واحدها علم ﴿ **إن يشأ يسكن الريح** ﴾ قرأ الجمهور بهمز : ﴿ **يشأ** ﴾ . وقرأ ورش عن نافع بلا همز . وقرأ الجمهور : ﴿ **الريح** ﴾ بالإفراد ، وقرأ نافع : « الرياح » على الجمع ، أى يسكن الريح التى تجرى بها السفن ﴿ **فيظللن** ﴾ أى السفن ﴿ **رواكد** ﴾ أى سواكن ثوابت على ظهر البحر ، يقال : ركد الماء ركودا : سكن ، وكذلك : ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت فى مكان فهو راكد . قرأ الجمهور : ﴿ **فيظللن** ﴾ بفتح اللام الأولى ، وقرأ قتادة بكسرها وهى لغة قليلة . ﴿ **إن فى ذلك** ﴾ الذى ذكر من أمر السفن ﴿**لآيات** ﴾ دلالات عظيمة ﴿ **لكل صبار شكور** ﴾ أى لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء . قال قطرب : الصبار : الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر . قال عون بن عبد الله :

فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى وهْو غير صابر

﴿ **أو يوبقهن بما كسبوا** ﴾ معطوف على يسكن ، أى يهلكهن بالغرق ، والمراد : أهلكهن بما كسبوا من الذنوب ، وقيل : بما أشركوا . والأول أولى ، فإنه يهلك فى البحر المشرك وغير المشرك ، يقال : أوبقه ، أى أهلكه ﴿ **ويعف عن كثير** ﴾ من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم فينجيهم من الغرق . قرأ الجمهور : ﴿ **يعف** ﴾ بالجزم عطفا على جواب الشرط . قال القشيرى : وفى هذه القراءة إشكال ؛ لأن المعنى : إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ﴿ **يعف** ﴾ على هذا ؛ لأنه يصير المعنى : إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك ، بل المعنى : الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ، وقد قرأ قوم : « ويعفو » بالرفع وهى جيدة فى المعنى . قال أبو حيان : وما قاله ليس بجيد ؛ إذ لم يفهم مدلول التركيب ، والمعنى : إلا أنه تعالى أهلك ناسا وأنجى ناسا على طريق العفو عنهم ، وقرأ الأعمش : « ويعفو » بالرفع ، وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب بإضمار أن بعد الواو ، كما فى قول النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

بنصب ونأخذ ﴿ **ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص** ﴾ قرأ الجمهور بنصب : ﴿ **يعلم** ﴾ قال الزجاج : على الصرف ، قال : ومعنى الصرف صرف العطف على اللفظ إلى العطف على المعنى ، قال : وذلك أنه لما لم يحسن عطف ﴿ **ويعلم** ﴾ مجزوما على ما قبله ؛ إذ يكون المعنى : إن يشأ يعلم عدل إلى العطف على مصدر الفعل الذى قبله ، ولا يتأتى ذلك إلا بإضمار أن ؛ لتكون مع الفعل فى تأويل اسم ، ومن هذا بيتا النابغة المذكوران قريبا ، وكما قال

الزجاج ، قال المبرد وأبو على الفارسي : واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته . وقيل : النصب على العطف على تعليل محذوف ، والتقدير: لينتقم منهم ويعلم . واعترض أبو حيان بأنه ترتب على الشرط إهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير : لينتقم منهم. وقرأ نافع وابن عامر برفع :« يعلم » على الاستئناف ، وهى قراءة ظاهرة المعنى واضحة اللفظ . وقرئ بالجزم عطفا على المجزوم قبله على معنى : وإن يشأ يجمع بين الإهلاك والنجاة والتحذير ، ومعنى : ﴿ **ما لهم من محيص** ﴾ . ما لهم من فرار ولا مهرب ، قاله قطرب . وقال السدى : ما لهم من ملجأ ، وهو مأخوذ من قولهم : حاص به البعير حيصة : إذا رمى به ، ومنه قولهم : فلان يحيص عن الحق ، أى يميل عنه .

﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا** ﴾ لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ، ذكر التنفير عن الدنيا ، أى ما أعطيتم من الغنى والسعة فى الرزق، فإنما هو متاع قليل فى أيام قليلة ينقضى ويذهب . ثم رغبهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال : ﴿ **وما عند الله خير وأبقى** ﴾ أى ما عند الله من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات ، خير من متاع الدنيا وأبقى ؛ لأنه دائم لا ينقطع ، ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة . ثم بين سبحانه لمن هذا فقال: ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ أى صدقوا وعملوا على ما يوجبه الإيمان .﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ أى يفوضون إليه أمورهم ويعتمدون عليه في كل شؤونهم لا على غيره ﴿ **والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ الموصول فى محل جر معطوف على الذين آمنوا أو بدلا منه أو فى محل نصب بإضمار : أعنى ، والأول أولى. والمعنى : أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وللذين يجتنبون . والمراد بكبائر الإثم : الكبائر من الذنوب ، وقد قدمنا تحقيقها فى سورة النساء . قرأ الجمهور : ﴿ **كبائر** ﴾ بالجمع . وقرأ حمزة والكسائى : « كبير » بالإفراد وهو يفيد مفاد الكبائر؛ لأن الإضافة للجنس كاللام . والفواحش : هى من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها ، وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك . وقال مقاتل : الفواحش : موجبات الحدود . وقال السدى : هى الزنا ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ أى يتجاوزون عن الذنب الذى أغضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم ، وخص الغضب بالغفران ؛ لأن استيلاءه على طبع الإنسان وغلبته عليه شديدة ، فلا يغفر عند سورة الغضب إلا من شرح الله صدره وخصه بمزية الحلم ، ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم بقوله فى آل عمران : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ [ آل عمران : ١٣٤ ] : قال ابن زيد : جعل الله المؤمنين صنفين : صنفا يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم ، وصنفا ينتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتى ذكرهم .

﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة** ﴾ أى أجابوه إلى ما دعاهم إليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة. قال ابن زيد : هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثنى عشر نقيبا منهم قبل الهجرة، وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها وهيئاتها ﴿**وأمرهم شورى بينهم** ﴾ أى يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون بالرأى . والشورى مصدر

شاورته مثل البشرى والذكرى . قال الضحاك : هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حين اجتمع رأيهم فى دار أبى أيوب على الإيمان به والنصرة له. وقيل: المراد : تشاورهم فى كل أمر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأى ، وما أحسن ما قاله بشار بن برد :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى نصيح ، أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى قوة للقوادم

وقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى أموره ، وأمره الله سبحانه بذلك فقال : ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ [ آل عمران : ١٥٩ ] وقد قدمنا فى آل عمران كلاما فى الشورى ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ أى ينفقونه فى سبيل الخير ويتصدقون به على المحاويج .ثم ذكر سبحانه الطائفة التى تنتصر ممن ظلمها فقال : ﴿ **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون** ﴾ أى أصابهم بغى من بغى عليهم بغير الحق .ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين فى معرض المدح كما ذكر المغفرة عند الغضب فى معرض المدح؛ لأن التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال: ﴿ ولله العزة[1] ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [ المنافقون : ٨ ] فالانتصار عند البغى فضيلة ، كما أن العفو عند الغضب فضيلة .قال النخعى : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء ، ولكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له وعدم مجاوزته ،كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ فبين سبحانه أن العدل فى الانتصار، هو الاقتصار على المساواة ، وظاهر هذا العموم . وقال مقاتل والشافعى وأبو حنيفة وسفيان : إن هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره . وقال مجاهد والسدى : هو جواب القبيح إذا قال : أخزاك الله ، يقول : أخزاك الله من غير أن يعتدى ، وتسمية الجزاء سيئة ؛ إما لكونها تسوء من وقعت عليه ، أو على طريق المشاكلة لتشابههما فى الصورة . ثم لما بين سبحانه أن جزاء السيئة بمثلها حق جائز ، بين فضيلة العفو فقال : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ أى من عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه ، أى أن الله سبحانه يأجره على ذلك ، وأبهم الأجر ؛ تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته. قال مقاتل : فكان العفو من الأعمال الصالحة، وقد بينا هذا فى سورة آل عمران . ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التى هى سبب الفوز والنجاة فقال : ﴿ **إنه لا يحب الظالمين** ﴾ أى المبتدئين بالظلم . قال مقاتل : يعنى من يبدأ بالظلم، وبه قال سعيد بن جبير . وقيل : لا يحب من يتعدى فى الاقتصاص ويجاوز الحد فيه ؛ لأن المجاوزة ظلم .

﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه** ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول ، أى بعد أن ظلمه الظالم له ، واللام هى لام الابتداء . وقال ابن عطية : هى لام القسم ، والأول أولى . ومن هى الشرطية ،

---

(١) فى المخطوطة: « العزة لله » .

وجوابه : ﴿ **فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ بمؤاخذة وعقوبة ، ويجوز أن تكون من هى الموصولة ودخلت الفاء فى جوابها تشبيها للموصولة بالشرطية ، والأول أولى . ولما نفى سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال : ﴿ **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس** ﴾ أى يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الأكثر . وقال ابن جريج : أى يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ﴿ **ويبغون فى الأرض بغير الحق** ﴾ أى يعملون فى النفوس والأموال بغير الحق كذا قال الأكثر . وقال مقاتل : بغيهم عملهم بالمعاصى . وقيل : يتكبرون ويتجبرون. وقال أبو مالك : هو ما يرجوه أهل مكة أن يكون بمكة غير الإسلام دينا ، والإشارة بقوله: ﴿ **أولئك** ﴾ إلى الذين يظلمون الناس وهو مبتدأ، وخبره: ﴿**لهم عذاب أليم** ﴾ أى لهم بهذا السبب عذاب شديد الألم. ثم رغب سبحانه فى الصبر والعفو فقال : ﴿ **ولمن صبر وغفر** ﴾ أى صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر ، والكلام فى هذه اللام ومن كالكلام فى :﴿ **ولمن انتصر** ﴾ و﴿ **إن ذلك** ﴾ الصبر والمغفرة ﴿ **لمن عزم الأمور** ﴾ أى أن ذلك منه فحذف لظهوره ، كما فى قولهم :السمن منوان بدرهم . قال مقاتل : من الأمور التى أمر الله بها . وقال الزجاج : الصابر يؤتى بصبره ثوابا ، فالرغبة فى الثواب أتم عزما . قال ابن زيد : إن هذا كله منسوخ بالجهاد وأنه خاص بالمشركين. وقال قتادة: إنه عام ، وهو ظاهر النظم القرآنى ﴿ **ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده** ﴾ أى فما له من أحد يلى هدايته وينصره ، وظاهر الآية العموم . وقيل : هى خاصة بمن أعرض عن النبى ﷺ ولم يعمل بما دعاه إليه من الإيمان بالله والعمل بما شرعه، والأول أولى.

وقد أخرج أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن على بن أبى طالب قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ ؟ ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ وسأفسرها لك يا على : « ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا ؛ فبما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا ، فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه » [(١)] . وأخرج عبد بن حميد والترمذى عن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها أودونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر»، وقرأ : ﴿**وما أصابكم** ﴾ الآية [(٢)] . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى الكفارات، وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب عن عمران بن حصين ؛ أنه دخل عليه بعض أصحابه، وكان قد ابتلى فى جسده، فقال: إنا لنبتئس لك لما نرى فيك ، قال : فلا تبتئس لما ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة** ﴾ إلى آخرها . وأخرج أحمد عن معاوية بن أبى سفيان: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أحمد ١/ ٨٥ وأبو يعلى (٤٥٣) وإسناده ضعيف وفيه أزهر بن راشد الكاهلى ، وصححه الحاكم ٢/ ٤٤٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٢٥٢) وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

« ما من شيء يصيب المؤمن فى جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به من سيئاته » (١) . وأخرج ابن مردويه عن البراء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر » .

وأخرج ابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فيظللن رواكد على ظهره** ﴾ قال: يتحركن ولا يجرين فى البحر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله: رواكد ، قال : وقوفا ﴿ **أو يوبقهن**﴾ قال : يهلكهن. وأخرج النسائى وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة ، قالت : دخلت على زينب وعندى رسول الله ﷺ فأقبلت على فسبتنى ، فردعها النبى ﷺ فلم تنته ، فقال لى: « سبيها »، فسبيتها حتى جف ريقها فى فمها، ووجه رسول الله ﷺ يتهلل سرورا (٢) . وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « المستبان ما قالا من شيء فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم » ثم قرأ : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ (٣) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا ليقم من كان له على الله أجر ، فلا يقوم إلا من عفا فى الدنيا » وذلك قوله : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ . وأخرج البيهقى عن أنس عن النبى ﷺ قال : « ينادى مناد : من كان له أجر على الله فليدخل الجنة ، مرتين ، فيقوم من عفا عن أخيه » قال الله : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ (٤) .

﴿ **وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ**

---

(١) أحمد ٤/ ٩٨ .

(٢) النسائى فى التفسير (٤٩٦) وإسناده حسن ، وابن ماجه فى النكاح (١٩٨١) وفى الزوائد : «إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وزكريا بن أبى زائدة كان يدلس » .

(٣) أحمد ٢/ ٢٣٥ ومسلم فى البر والصلة (٢٥٨٧/ ٦٨) وأبو داود فى الأدب (٤٨٩٤) والترمذى فى البروالصلة (١٩٨١) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٤) البيهقى فى الشعب (٨٣١٣) . ط . دار الكتب العلمية .

**مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾** .

قوله : ﴿ **وترى الظالمين** ﴾ أى المشركين المكذبين بالبعث ﴿ **لما رأوا العذاب** ﴾ أى حين نظروا النار ، وقيل: نظروا ما أعده الله لهم عند الموت ﴿ **يقولون هل إلى مرد من سبيل** ﴾ ؟ أى هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق ؟ ﴿ **وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل** ﴾ أى ساكنين متواضعين عند أن يعرضوا على النار لما لحقهم من الذل والهوان ، والضمير فى عليها راجع إلى العذاب وأنثه ؛ لأن العذاب هو النار ، وقوله : ﴿ **يعرضون** ﴾ فى محل نصب على الحال ؛ لأن الرؤية بصرية ، وكذلك خاشعين ، و﴿ **من الذل** ﴾ يتعلق بخاشعين ، أى من أجله ﴿**ينظرون من طرف خفى** ﴾ « من » هى التى لابتداء الغاية ، أى يبتدئ نظرهم إلى النار ، ويجوز أن تكون تبعيضية ، والطرف الخفى : الذى يخفى نظره كالمصبور ينظر إلى السيف لما لحقهم من الذل والخوف والوجل. قال مجاهد: ﴿ **من طرف خفى** ﴾: أى ذليل ، قال : وإنما ينظرون بقلوبهم ؛ لأنهم يحشرون عميا ، وعين القلب طرف خفى . وقال قتادة وسعيد بن جبير والسدى والقرظى: يسارقون النظر من شدة الخوف . وقال يونس : إن « من » فى :﴿ **من طرف** ﴾ بمعنى الباء ، أى ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال الأخفش ﴿**وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة** ﴾ أى أن الكاملين فى الخسران ، هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الأنفس والأهلين فى يوم القيامة . أما خسرانهم لأنفسهم : فلكونهم صاروا فى النار معذبين بها ، وأما خسرانهم لأهليهم : فلأنهم إن كانوا معهم فى النار فلا ينتفعون بهم ، وإن كانوا فى الجنة فقد حيل بينهم وبينهم . وقيل : خسران الأهل : أنهم لو آمنوا لكان لهم فى الجنة أهل من الحور العين ﴿ **ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم** ﴾ هذا يجوز أن يكون من تمام كلام المؤمنين ، ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه ، أى هم فى عذاب دائم لا ينقطع .

﴿ **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله** ﴾ أى لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب ، وأنصار ينصرونهم فى ذلك الموطن من دون الله ، بل هو المتصرف سبحانه ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿**ومن يضلل الله فما له من سبيل** ﴾ أى من طريق يسلكها إلى النجاة. ثم أمر سبحانه عباده بالاستجابة له وحذرهم فقال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله** ﴾ أى استجيبوا دعوته لكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسله من قبل أن يأتى يوم لا

يقدر أحد على رده ودفعه ، على معنى : من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد ، أو لا يرده الله بعد أن حكم به على عباده ووعدهم به ، والمراد به : يوم القيامة ، أو يوم الموت ﴿ **ما لكم من ملجأ يومئذ** ﴾ تلجؤون إليه ﴿ **وما لكم من نكير**﴾ أى إنكار ، والمعنى : ما لكم من إنكار يومئذ ، بل تعترفون بذنوبكم . وقال مجاهد : ﴿ **وما لكم من نكير** ﴾ أى ناصر ينصركم . وقيل : النكير بمعنى المنكر ، كالأليم بمعنى المؤلم ، أى لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب ، قاله الكلبى وغيره ، والأول أولى . قال الزجاج : معناه : أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التى يوقفون عليها ﴿ **فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾ أى حافظا تحفظ أعمالهم حتى تحاسبهم عليها ، ولا موكلا بهم رقيبا عليهم ﴿ **إن عليك إلا البلاغ** ﴾ أى ما عليك إلا البلاغ لما أمرت بإبلاغه ، وليس عليك غير ذلك ، وهذا منسوخ بآية السيف . ﴿ **وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها** ﴾ أى إذا أعطيناه رخاء وصحة وغنى فرح بها بطرا ، والمراد بالإنسان : الجنس ، ولهذا قال : ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾ أى بلاء وشدة ومرض ﴿ **بما قدمت أيديهم** ﴾ من الذنوب ﴿ **فإن الإنسان كفور** ﴾ أى كثير الكفر لما أنعم به عليه من نعمه ، غير شكور له عليها ، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان .

ثم ذكر سبحانه سعة ملكة ونفاذ تصرفه فقال : ﴿ **لله ملك السموات والأرض** ﴾ أى له التصرف فيهما بما يريد ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ﴿ **يخلق ما يشاء** ﴾ من الخلق ﴿**يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾ . قال مجاهد والحسن والضحاك وأبو مالك وأبو عبيدة : يهب لمن يشاء إناثا لا ذكور معهن ، ويهب لمن يشاء ذكورا لا إناث معهم . قيل : وتعريف الذكور بالألف واللام ؛ للدلالة على شرفهم على الإناث ، ويمكن أن يقال : إن التقديم للإناث قد عارض ذلك ، فلا دلالة فى الآية على المفاضلة بل هى مسوقة لمعنى آخر . وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ﴾ [ النساء : ٣٤ ] وغير ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الإناث . وقيل : تقديم الإناث ؛ لكثرتهن بالنسبة إلى الذكور . وقيل : لتطييب قلوب آبائهن . وقيل : لغير ذلك مما لا حاجة إلى التطويل بذكره ﴿ **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا** ﴾ أى يقرن بين الإناث والذكور ويجعلهم أزواجا فيهبهما جميعا لبعض خلقه. قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية . وقال محمد ابن الحنفية : هو أن تلد توأما غلاما وجارية . وقال القتيبى : التزويج هنا هو : الجمع بين البنين والبنات . تقول العرب : زوجت إبلى : إذا جمعت بين الصغار والكبار ، ومعنى الآية أوضح من أن يختلف فى مثله ، فإنه سبحانه أخبر أنه يهب لبعض خلقه إناثا ، ويهب لبعض ذكورا، ويجمع لبعض بين الذكور والإناث ﴿ **ويجعل من يشاء عقيما** ﴾ لا يولد له ذكر ولا أنثى ، والعقيم : الذى لا يولد له ، يقال : رجل عقيم وامرأة عقيم ، وعقمت المرأة تعقم عقما ، وأصله : القطع ، ويقال : نساء عقم ، ومنه قول الشاعر :

عقم النساء فما يلدن شبيـ ـهه إن النساء بمثله عقم

﴿ **إنه عليم قدير** ﴾ أى بليغ العلم عظيم القدرة ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا** ﴾ أى ما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا بأن يوحى إليه فيلهمه ويقذف ذلك فى قلبه . قال مجاهد : نفث ينفث فى قلبه ، فيكون إلهاما منه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم فى ذبح ولده ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ كما كلم موسى ، يريد : أن كلامه يسمع من حيث لا يرى ، وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذى يكلم خواصه من وراء حجاب ﴿ **أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ أى يرسل ملكا ، فيوحى ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء أن يوحى إليه. قال الزجاج : المعنى أن كلام الله للبشر : إما أن يكون بإلهام يلهمهم ، أو يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى ، أو برسالة ملك إليهم . وتقدير الكلام : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى وحيا ، أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولا . ومن قرأ : « يرسل » رفعا أراد : وهو يرسل ، فهو ابتداء واستئناف . أ هـ . قرأ الجمهور بنصب : ﴿ **أو يرسل** ﴾ وبنصب : ﴿ **فيوحى** ﴾ على تقدير أن ، وتكون أن وما دخلت عليه معطوفين على ﴿ **وحيا** ﴾، و﴿ **وحيا** ﴾ فى محل الحال ، والتقدير : إلا موحيا أو مرسلا، ولا يصح عطف ﴿ **أو يرسل** ﴾ على ﴿ **أن يكلمه** ﴾ لأنه يصير التقدير: وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا ، وهو فاسد لفظا ومعنى . وقد قيل فى توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف . وقرأ نافع : « أو يرسل » بالرفع ، وكذلك : « فيوحى » بإسكان الياء على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أوهو يرسل ،كما قال الزجاج وغيره ، وجملة : ﴿ **إنه على حكيم** ﴾ تعليل لما قبلها ، أى متعال عن صفات النقص، حكيم فى كل أحكامه .

قال المفسرون : سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبى ﷺ : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ؟ فنزلت : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾ [1] أى وكالوحى الذى أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك روحا من أمرنا . المراد به: القرآن . وقيل : النبوة . قال مقاتل : يعنى : الوحى بأمرنا ومعناه القرآن ؛ لأنه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر . ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى إليه فقال: ﴿ **ما كنت تدرى ما الكتاب** ﴾ أىْ أىُّ شىء هو ؛ لأنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك أدخل فى الإعجاز وأدل على صحة نبوته، ومعنى ﴿ **ولا الإيمان** ﴾ : أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدى إلى معالمها، وخص الإيمان ؛ لأنه رأسها وأساسها . وقيل : أراد بالإيمان هنا : الصلاة . قال بهذا جماعة من أهل العلم ، منهم إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ [ البقره : ١٤٣ ] يعنى : الصلاة ، فسماها إيمانا . وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبيا إلا وقد كان مؤمنا به ، وقالوا : معنى الآية : ما كنت تدرى قبل

---

(١) الواحدى فى أسباب النزول ص ٢١٤ .

الوحى كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان ؟ وقيل : كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفى المهد . وقال الحسين بن الفضل : إنه على حذف مضاف ، أى ولا أهل الإيمان . وقيل: المراد بالإيمان : دين الإسلام . وقيل : الإيمان هنا : عبارة عن الإقرار بكل ما كلف الله به العباد ﴿ **ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء** ﴾ أى ولكن جعلنا الروح الذى أوحيناه إليك ضياء ودليلا على التوحيد والإيمان نهدى به من نشاء هدايته ﴿ **من عبادنا** ﴾ ونرشده إلى الدين الحق ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾ قال قتادة والسدى ومقاتل: وإنك لتدعو إلى الإسلام، فهو الصراط المستقم . قرأ الجمهور : ﴿ **لتهدى** ﴾ على البناء للفاعل. وقرأ ابن حوشب على البناء للمفعول . وقرأ ابن السميقع بضم التاء وكسر الدال من أهدى ، وفى قراءة أبى : « **وإنك لتدعو**» . ثم بين الصراط المستقم بقوله : ﴿ **صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ وفى هذه الإضافة للصراط إلى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ، ومعنى ﴿ **له ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾ : أنه المالك لذلك والمتصرف فيه ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ أى تصير إليه يوم القيامة لا إلى غيره جميع أمور الخلائق ، وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ينظرون من طرف خفى** ﴾ قال : ذليل . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد مثله . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن كعب قال: يسارقون النظر إلى النار . وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ قال : « من بركة المرأة ابتكارها بالأنثى » ؛ لأن الله قال : ﴿ **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾ » . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ويجعل من يشاء عقيما** ﴾ قال : الذى لا يولد له . وأخرج ابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا** ﴾ قال: إلا أن يبعث ملكا يوحى إليه من عنده ، أو يلهمه فيقذف فى قلبه ، أو يكلمه من وراء حجاب . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾ قال : القرآن . وأخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن على قال : قيل لمحمد ﷺ ؟ هل عبدت وثنا قط ؟ قال : « لا » قالوا : فهل شربت خمرا قط ؟ قال: «لا»، وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر،وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان » ، وبذلك نزل القرآن : ﴿ **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ .